هدايات القرآن في ضبط السمع

إعداد

د. إسماعيل بن عبدالستار بن هادي الميمني

أستاذ الكتاب والسنة المشارك

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٨).

نظمه مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، بالشراكة مع: كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

الأربعاء والخميس ٥- ٦ ربيع الأول ١٤٤٠هـ، الموافق ١٤- ١٥ نوفمبر ٢٠١٨م.

ماليزيا- كوالالمبور

المستخلص

هدايات القرآن الكريم في ضبط السمع

لقد خلق الله عز وجل للإنسان نعمة السمع، وحرص القرآن الكريم على ضبط هذه النعمة، وورد ذلك في العديد من الآيات القرآنية التي تهدي الإنسان إلى الطريق السليم، واستثمار هذه النعمة التي خلقها الله له؛ لحسن العمل في الدنيا، ونيل الثواب العظيم في الآخرة، من هنا كان عنوان البحث: (هدايات القرآن الكريم في ضبط السمع)، وقد تناول هذا البحث هداية القرآن الكريم في خلق الله عز وجل لنعمة السمع، كما تحدث عن حراسة السماء من استراق السمع منذ بعثة النبي ﷺ، وتناول كذلك هداية القرآن في عدم النطق بما لا يعرفه الإنسان، وهداية القرآن في ضبط السمع وحفظه من التجسس والغيبة، وهداية القرآن في ضبط الألفاظ وجمال المنطق وحلاوته، وهداية القرآن في استماع القول الحسن، وهداية القرآن في خفض الصوت وعدم ازعاج الآخرين.

Abstract

Auditions of the Quran in hearing control God has created for the human being the grace of hearing and the keenness of the Holy Quran to control this blessing. This was mentioned in many Quranic verses which guide man to the right path and to invest this grace which God created for him to do good work in this world. Quran in hearing control This research dealt with the guidance of the Holy Quran in the creation of God Almighty for as he spoke about guarding the sky from ،the grace of hearing peace be ،the enslavement of hearing the birth of the Prophet also dealt with the guidance of the Koran not to speak ،upon him and the guidance of the Koran ،what does not know the human in the control of hearing and save from espionage And the guidance of the Koran in the control of words and the beauty of and the guidance of the Koran to listen to ،logic and sweetness and guide the Koran in reducing the sound and not ،the good say to disturb others

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد فإن القرآن معجزة الله الخالدة التي أجراها على يد نبيه ﷺ، فتحدى به الإنس والجن، ولم يقتصر إعجاز القرآن على زمن النبوة، بل التحدي به قائم إلى أن تقوم الساعة.

وكتاب الله تعالى – الذي رَحِمنا به – مليء بالكنوز والدرر الدفينة التي كانت وما زالت محط أنظار العلماء، وخصوصاً أهل العلم الشرعي، فالقرآن كالبحر الذي لا ينضب من مكنوناته، يفيض بدرره على من يقصده بالبحث والتنقيب في كل عصر من العصور.

كما أن السمع الذي احتواه القرآن ليس المقصود منه فقط السمع المتبادر الى الذهن الذي نعبر عنه بآلته (الأذن)، بل السمع الذي مداره ايصال المقصود بالخطاب الى القلب، فإذا أحسنا السمع توصلنا الى فهم الأمور بالشكل السليم، واتخاذ القرار الذي يرضي الله عز وجل، لننال بذلك رحمته سبحانه وتعالى.

فلذلك يجب علينا أن نحافظ على نظافة أسماعنا، بأن لا نلوثها بسِفَاف الدنيا أمثال: الاستماع لأهل الباطل، والغيبة والنميمة، والغناء؛ بل يجب إعمالها في طاعته سبحانه بسماع ذكره وسماع تلاوة كتابه العزيز، والعمل بما في آياته، لتحقيق حقيقة الاستخلاف.

كما وتكمن أهمية السمع في أن مدار التكليف على أدلة السماع أولاً، وذلك لأن السمع هو المنفذ إلى العقل، ودليل ذلك اقترانه بالعقل في عدة آيات منها، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٤)، وقوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية رقم (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآية رقم (٧٠-٧١).

(٤) سورة الملك: الآية رقم (١٠).

(٥) سورة الإسراء: الآية رقم (٣٦).

وتجلت أهميته بوصف الله عز وجل نفسه بالسميع، فإذا علمنا أن الله سميع، فذلك يقودنا الى الحذر لمراقبة أقوالنا فلا نسمعه إلا خيراً ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]، كما يولد لدينا استشعارا تاماً بقرب الله منا في ذلك الاسم، فإنه سريع الإجابة للمضطرين وعباده الصالحين قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2].

ومن هنا جاءت فكرة البحث بعنوان:

(هدايات القرآن الكريم في ضبط السمع عند الإنسان)

أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال:

١- تناول آيات قرآنية كريمة لموضوع السمع.

٢- حاجة المجتمع المسلم للوصول إلى الفهم الصحيح لماهية السماع من خلال القرآن الكريم، وضرورة التركيز على عملية الفهم والإدراك التي تلي عملية السماع.

٣- أن للسمع أهمية بالغة في حياة المسلم، فإذا حَسُن فهمنا لهذا المصطلح من خلال القرآن الكريم فإن ذلك يؤدي الى النجاة من غضب الله وعقابه، والفوز بجناته.

٤- بيان عظمة سماع ذكر الله، وسماع تلاوة القرآن الكريم، وعظم أثرهما في نفوس المسلمين وغيرهم.

٥- بيان خطر سماع أهل (الباطل، والغيبة، والنميمة، والغناء) على حياة الفرد والمجتمع وأن كل ذلك يهدم دعائم الأمة.

أهداف البحث:

١- الاطلاع على ما جاء في كتاب الله من آيات تتعلق بموضوع السمع.

٢- إضافة بحث جديد تحت إطار هدايات القرآن والتدبر فيه، والتأكيد على أن القرآن صالح لكل زمان ومكان.

٣- بيان أهمية السمع في القرآن الكريم.

٤- بيان ضبط القرآن الكريم للسمع.

٥- إبراز أهمية السمع كحاسة من حواس الإنسان، وذلك لما لها من أثر من استقامة حياة المسلم إذا أدرك الأمور بشكل سليم.

٦- إثبات أن للسماع في الدنيا أنواعاً منها: السماع المحمود، والسماع المذموم، ولكل واحد منها عدة أنواع.

---

(١) سورة الأنفال: الآية رقم (٦١).

(٢) البقرة: الآية رقم (١٨٦).

مشكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتجيب على العديد من الأسئلة التي يمكن أن تطرح حول موضوع السمع ومن هذه التساؤلات:

١- ماهية السمع؟ وما فوائد سمع الإنسان؟

٢- ما المغزى من اقتران سماع الإنسان ببصره في كتاب الله عز وجل؟

٣- ما السماع المحمود؟ وما السماع المذموم؟

فرضيات البحث:

يتوقع الباحث الأمور التالية:

١- أن القرآن الكريم قد بين حقيقة السمع، والسبل التي يمكن اتباعها للوصول إلى السماع السليم.

٢- أن القرآن الكريم قد فصل في الفئات التي وصفها الله عز وجل بالسماع.

٣- أن القرآن الكريم قد فصل في الفئات التي وصفها الله عز وجل بعدم السماع.

٤- أن القرآن الكريم بين أنواع السماع المحمود.

٥- أن القرآن الكريم بين أنواع السماع المذموم.

منهجية البحث:

تتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي، وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية، ثم تحليلها، وفق الخطوات الآتية:

١- جمع الآيات ذات الصلة بموضوع السمع ومرادفاته.

٢- دراسة الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع من خلال كتب التفسير قديمها وحديثها.

٣- عزو الآيات القرآنية بذكر: (اسم السورة، ورقم الآية) في الهامش.

خطة البحث

تم تقسيم البحث الى ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: أ/ منة الله سبحانه وتعالى على الخلق بنعمة السمع.

ب/حراسة السماء من استراق السمع بمبعث النبي ﷺ.

المبحث الثاني: أ/ هداية القرآن في عدم النطق بما لا يعلمه الإنسان.

ب/هداية القرآن في ضبط السمع وحفظه من التجسس والغيبة.

المبحث الثالث: أ/ هداية القرآن في ضبط الألفاظ وحلاوة المنطق.

ب/ هداية القرآن إلى استماع الطيب من القول والترفع عن أراذله.

وأسأل التوفق والسداد لما يحبه ويرضاه من القول والعمل.

المبحث الأول: منة الله سبحانه وتعالى على الخلق بنعمة السمع:

عُرِف السَّمع بأنه: قوة في الأذن بها تدرك الأصوات[١]، إذن فالسمع هو الحاسة المدركة للأصوات، وهي أدق الحواس وأغمضها في كيفية تحصيل الإدراك، فهو أحد الحواس التي يحصل بها اليقين، وأحد وسائط العلم، ولهذا كان بعض الأنبياء أعمى لا أصم[٢].

وللفظ السمع مشتقات ومتعلقات كثيرة منها: السماع والاستماع والإنصات والإصغاء، وأود هنا أن أبين معنى كل واحد من الألفاظ والفرق بينها وبين السمع.

أولا: الفرق بين السمع والاستماع؛ فالسمع هو الحاسة المدركة للأصوات، أي إدراك المسموع، أما الاستماع فهو استفادة المسموع الإصغاء إليه ليفهم.

ثانيا: الفرق بين السمع والسماع؛ فالسماع هو إدراك السمع المسموعات فيكون اسما للمسموع، وقد ذكر أهل التفسير أن السماع في القرآن الكريم على وجهين: أحدهما: إدراك السمع المسموعات[٣] ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾[٨].

حراسة السماء من استراق السمع بمبعث النبي ﷺ:

كان الجن قبل مبعث الرسول ﷺ يسترقون أخباء السماء، وهو ما يوحيه الله لملائكته، وأصل ذلك قوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[٩]، قال القرطبي: «كان الجن يقعدون مقاعد لاستماع أخبار السماء، وهم المردة من الجن، كانوا يفعلون

---

(١) التعريفات: لعلي بن مُحَمَّد الجرجاني: (ص: ١٦١)؛ تاج العروس: لمحمد بن مُحَمَّد الزبيدي، (٢٢٣: ٢١).

(٢) الحكم الشرعي المستنبط من لفظ السمع في القرآن الكريم: لعبدالعظيم رمضان عبدالصادق، (ص: ٣).

(٣) وينظر حول مشتقات لفظ السمع والفرق بينهما: نزهة الأعين النواظر: لأبي الفرج ابن الجوزي، (ص: ٣٤٥)؛ الفروق اللغوية: للحسن بن عبدالله العسكري، (ص: ٢٨٤).

(٤) سورة الإنسان: الآية رقم (٢).

(٥) سورة النحل: الآية رقم (٧٨).

(٦) سورة المؤمنون: الآية رقم (٧٨).

(٧) سورة السجدة: الآية رقم (٩).

(٨) سورة الملك: الآية رقم (٢٣).

(٩) سورة الجن: الآية رقم (٩).

ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة، فحرسها الله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾» [(١)].

ويبين الرسول ﷺ هذا الأمر في حديثه الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ قال: (الملائكة تتحدث في العنان – والعنان الغمام – بالأمر يكون في الأرض، فتستمع الشياطين فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة)[(٢)].

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﵁ يقول: إن نبي الله ﷺ قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا – للذي قال –: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض – ووصف سفيان بكفه فحرفها، وبدد بين أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا: يوم كذا، كذا وكذا! فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء)[(٣)].

وفي رواية عند مسلم في صحيه بلفظ: (تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة)[(٤)].

وهكذا فإن الجن كان يستمعون لأخبار السماء، ثم يلقون ذلك إلى الكهان من الإنس، فيزيدون على الكلمة مائة كذبة من عندهم، فيصدق الناس ذلك، قال الماوردي: «فأما استراقهم للسمع فقد كانوا في الجاهلية قبل بعث الرسول ﷺ يسترقونه، ولذلك كانت الكهانة في الإنس لإلقاء الجن إليهم ما استرقوه من السمع في مقاعد لهم، كانوا يقربون فيها من السماء كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[(٥)]»[(٦)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي (تفسير القرطبي): لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (١٩: ١٢).

(٢) الجامع الصحيح: لأبي عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري: باب صفة إبليس وجنوده، (١٥٢: ٤)، حديث رقم (٣٢٨٨).

(٣) المصدر السابق نفسه: باب ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ...﴾ (١٥٢: ٦)، حديث رقم (٤٨٠٠).

(٤) المصدر السابق نفسه: للإمام البخاري: باب قول الرجل للشيء ليس بشيء، (٥٨: ٨) حديث رقم (٦٢١٣)؛ وصحيح الإمام مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (١٧٥٠: ٤)، حديث رقم (٢٢٢٨).

(٥) سورة الجن: الآية رقم (٩).

(٦) أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشهير بالماوردي، (ص: ١٤٥).

وقال ابن جُزَى الكلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[1]، والمعنى: «لا تسمع الشياطين أخبار السماء، إلا الشيطان الذي خطف الخطفة»[2].

وقد اختلف العلماء في استراق الجن للسمع بعد مبعث الرسول ﷺ: فقال قوم: إن استراق الجن لأخبار السماء قد زال بمبعث الرسول ﷺ، ولذلك زالت الكهانة، وقال آخرون: إن استراقهم باق بعد مبعثه ﷺ[3].

واختلفوا كذلك في أن الجن هل كانوا يُرمَوْن بالشهب قبل مبعث الرسول ﷺ أم لا؟

فقال قوم: لم تكن تُرمى الجن قبل مبعثه عليه ﷺ. وقد نسب النسفي هذا القول للجمهور فقال: «والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث مُحَمَّد ﷺ»[4].

قال القرطبي: «وقال الكلبي وقوم: لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومُحَمَّد صلوات الله عليهما وسلامه خمسمائة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبي ﷺ، فلما بُعِث مُنِعُوا من السماوات كلها وحرست بالملائكة والشهب، ومُنِعَت من الدنو من السماء، وبه قال عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه، وهذا قول عبدالله بن سابور. وقال نافع بن جبير: كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى، فلما بعث رسول الله ﷺ رُمِيَت بالشهب»[5].

ومما يؤيد هذا القول ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما ما زادوه فيكون باطلاً، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس – ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك – فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين – أراه قال: بمكة – فلقوه فأخبروه فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض»[6].

وذكر القرطبي وجها آخر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «وقد كانت الشياطين لا يُحْجَبون عن السماء، فكانوا يدخلونها ويلقون أخبارها على الكهنة، فيزيدون عليها تسعاً، فيحدثون بها أهل الأرض، الكلمة حق والتسع باطل، فإذا أرادوا شيئاً مما قالوه صدقوهم مما جاءوا به، فلما ولد عيسى بن مريم عليهما

---

(١) سورة الصافات: الآية رقم (١٠).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: مُحَمَّد بن أحمد بن جُزي الكلبي، (تفسير ابن جُزَي)، (٣٦٨: ٢).

(٣) أعلام النبوة، للماوردي، (ص: ١٤٥).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (تفسير النسفي)، (٢٧٢: ٣).

(٥) تفسير القرطبي، (١٩: ١٢).

(٦) السنن، لأبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي، (سنن الترمذي) باب تفسير سورة الجن، (٤٢٧: ٥)، حديث رقم (٣٣٢٤)، المسند، لأبي يعلى أحمد بن علي الموصلي، (مسند أبي يعلى)، (٣٨٢: ٤) حديث رقم (٢٥٠٢)، المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (معجم الطبراني الكبير)، (١٩٣: ١٠) حديث رقم (١٢٢٦١).

السلام منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد مُحَمَّد ﷺ منعوا من السموات كلها، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رُمِي بشهاب»[١].

وفي هذا دليل على أن الشياطين لم تكن ترمى بالشهب قبل بعثته ﷺ، وتمسك من قال بأن الشهب لم يكن يرمى بها أيضاً قبل بعثة الرسول ﷺ بظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[٢]، إذ قد دل على أن الجن لم تكن ترمى قبل المبعث؛ حيث رتب الرمي على الاستماع بعد المبعث.

وقد أنكر الجاحظ الرمي قبل مبعث الرسول ﷺ، وأنكر كل شعر ورد في الرمي فقال: (كل شعر روي فيه فهو مصنوع)[٣].

وقال ابن قتيبة: «إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ، ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون في بعض الأحوال، فلما بُعث مُنِعوا من ذلك أصلاً. فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الأرض وطلب السبب – أي السبب الذي من أجله منعوا من استراق السمع – إنما كان لكثرة الرجم، ومنعهم عن الاسترق بالكلية»[٤].

وقيل: إنما زاد الرمي إنذاراً بمبعث الرسول ﷺ[٥].

قال بدر الدين الشبلي: «وقال السهيلي: ولكن القذف في النجوم كان قديما، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية. وذكر عبد الرزاق عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهلية؟ قال: نعم ولكنه لما جاء الإسلام غلظ وشدد»[٦].

وقال ابن إسحاق: «حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث: أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم – حين رمي بها – هذا الحي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية أحد بني علاج، قال: وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا، فقالوا له: يا عمرو: ألم تر إلى ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال: بلى، فانظروا: فإن كانت معالم النجوم – التي يهتدى به في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس معايشهم – هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوما غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد

---

(١) تفسير القرطبي: (١٠: ١٠).

(٢) سورة الجن: الآية رقم (٩).

(٣) تفسير القرطبي: (١٩: ١٣).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم المعروف بالخازن، (تفسير الخازن)، (٣١٧: ٤)؛ فتح القدير، لمحمد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، (تفسير الشوكاني)، (٣٠٦: ٥).

(٥) تفسير القرطبي: (١٩: ١٣).

(٦) آكام المرجان في أحكام الجان، لمحمد بن عبدالله الشبلي، (ص: ١٢٤).

الله به هذا الخلق فما هو؟»[1]، وما ذكره ابن إسحاق فيه دليل على أن النجوم لم يكن يرمى بها قبل مبعث الرسول ﷺ، حتى إن ثقيفاً استغربت الأمر، وخافت أن يكون قد اقتربت نهاية العالم، حتى ذهبوا إلى عمرو بن أمية يخبرهم الأمر.

القول الراجح: والراجح أن الرمي كان قبل مبعث الرسول ﷺ، ولكنه لم يكن في الشدة مثلما كان بعد مبعثه تمسكاً بحديث ابن عباس رضي الله عنه الآتي في كلام القرطبي، وهو ما رجحه ابن كثير والقرطبي وغيرهم.

قال ابن كثير: «وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك»[2] وذكر أن ما ورد من استغراب الإنس والجن للرمي بعد المبعث فإنما كان لكثرة الشهب في السماء والرمي بها، حيث ظنوا أن ذلك لخراب العالم[3].

وقال القرطبي: «والقول بالرمي أصح لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[4]، وهذا إخبار عن الجن أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت منا ومنهم. ولما روي عن ابن عباس قال: (أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله ﷺ: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم. ومات رجل عظيم. فقال رسول الله ﷺ: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته. ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش. ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً به. حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا. فما جاءوا به على وجهه فهو حق. ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون)[5]. وهذا يدل على أن الرجم قبل المبعث، واشتدت الحراسة بعد المبعث، فمنعوا من ذلك أصلاً»[6].

وقال بدر الدين الشبلي في قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[7] ولم يقل: حرست، دليل على أنه – أي الرمي – قد كان منه شيء، فلما بعث النبي ﷺ

---

(١) السيرة النبوية: لعبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (سيرة ابن هشام)، (ص: ٢٢٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (تفسير ابن كثير)، (٢٤٠: ٨).

(٣) (تفسير ابن كثير)، (٢٤١: ٨).

(٤) سورة الجن: الآية رقم (٨).

(٥) صحيح الإمام مسلم، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (١٧٥٠: ٤)، حديث رقم (٢٢٢٩).

(٦) تفسير القرطبي: (١٩: ١٣).

(٧) سورة الجن: الآية رقم: (٨).

ملئت حرساً شديداً وشهباً، وذلك لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم، ولتكون الآية أبين، والحجة أقطع»[١].

وأما قوله تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[٢]، فإنما يحمل على التشديد في حراسة السماء، فكل من يحاول من الشياطين استراق السمع بعد المبعث، فإن له شهاباً رصداً يرمى به، وذلك صيانة للوحي المنزل على مُحَمَّد ﷺ أن يصل الشياطين إلى شيء منه. وعلى هذا يحمل قول ابن إسحاق المتقدم كذلك، فإن استغراب الحي من ثقيف وفزعهم للرمي إنما كان لكثرته وشدته

واختلف العلماء: هل كانت الشهب تأخذ الجن قبل استراق السمع أم بعد استراقهم؟

فذهب قوم إلى أن الشهب تأخذهم قبل استراق السمع حتى لا يصل إليهم لانقطاع الكهانة بهم، وتكون الشهب منعاً من استراقه[٣].

ذهب آخرون إلى أن الشهب تأخذهم بعد استراقه، وتكون الشهب عقاباً على استراقه[٤].

وبناء على ما تقدم: هل يقتل الشهاب الجني عند رميه به أم لا يقتله؟

فقال ابن عباس رضي الله عنه: (الشهاب يجرح، ويحرق، ويخبل؛ ولا يقتل، ولذلك عادوا لاستراق السمع بعد الإحراق، ولولا بقاؤهم لانقطع الاستراق بعد الاحتراق، ويكون ما يلقونه من السمع إلى الجن دون الإنس لانقطاع الكهانة عن الإنس)[٥].

وقال الحسن وطائفة: «الشهاب يقتل بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن»، قال الشوكاني: «ذكره الماوردي ثم قال: والقول الأول أصح»[٦].

وظاهر القرآن أن الرمي يكون بعد الاستراق لعطفه عليه بالفاء الدالة على التعقيب في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[٧]، وقوله: ﴿إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[٨].

المبحث الثاني: هداية القرآن في عدم النطق بما لا يعلمه الانسان:

وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا

---

(١) آكام المرجان: للشبلي(ص: ١٢٤).

(٢) سورة الجن: الآية رقم: (٩).

(٣) أعلام النبوة: للماوردى: (ص: ١٤٥).

(٤) نفسه: نفسه.

(٥) فتح القدير: للشوكاني (١٢٥: ٣)؛ أعلام النبوة: للماوردي، (ص: ١٤٥).

(٦) فتح القدير: للشوكاني (١٢٥: ٣)؛ أعلام النبوة: للماوردي، (ص: ١٤٥).

(٧) سورة الحجر: الآية رقم: (١٨).

(٨) سورة الصافات: الآية رقم: (١٠).

تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1].

أولاً: التحليل اللغوي:

اجتنبوا: أي اتركوا ناحيته وابتعدوا عنها. وهذا أبلغ من قولك: اتركوه[2].

والظن: ينقسم إلى قسمين:

الظن المحرم: هو ظن السوء بأهل الخير والصلاح والأمانة والتقوى ومن عُرف عنهم الستر، كاتهامهم وتخوينهم ورميهم بالسوء والفحشاء.

الظن غير المحرم: هو ظن السوء بأهل الكفر والغش والضلال والفجور مما عرفوا بذلك واشتهروا به، فجاهروا بالخبائث التي ارتكبوها كدخول الحانات والخروج منها، وشرب الخمر، وسائر دروب الريب والشبهات التي أُمر كل مسلم أن يتجنبها[3].

إثم: الإثم الذنب، وقيل هو أن يعمل ما لا يحل له[4].

ولا تجسسوا: وقُرئ **(ولا تحسسوا)** بالحاء، واختلف هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ قال الأخفش: ليس تبعد أحدهما عن الأخرى، لأن التجسس البحث عما يكتم عنك، والتحسس **(بالحاء)** طلب الأخبار والبحث عنها، ومنه قيل: رجل جاسوس، إذا كان يبحث عن الأمر **(وبالحاء)** هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه.

وقول ثان في الفرق: إنه **(بالحاء)** لنفسه، قال تعالى: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾[5] **(وبالجيم)** أن يكون رسولاً لغيره، يقال: جسست الأخبار وتحسّستها أي تفحصت عنها ومنه الجاسوس[6].

يغتب: من الغيبة، الذكر بالعيب في ظهر الغيب وهي من الاغتياب[7].

وقال القرطبي: قيل: إنها نزلت في رجلين من أصحاب النبي ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أن النبي ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج على الرجلين الموسرين فيخدمهما، فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئًا، فجاءا فلم يجدا طعامًا وإدامًا، فقالا له: انطلق

---

(١) سورة الحجرات: الآية رقم: (١٢).

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (٣٤٦: ١).

(٣) تفسير القرطبي، (٣٣٢: ١٦).

(٤) لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، مادة (ذنب)، (٣٨٩: ١).

(٥) سورة يوسف: الآية رقم: (٨٧).

(٦) تفسير القرطبي، (٣٣٢: ١٦)، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (١٢٢: ١).

(٧) تفسير النسفي، (١٧١: ٢).

فاطلب لنا من النبي ﷺ طعاماً وإداماً، فذهب فقال له النبيﷺ: (اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له: إن كان عندك فضل من طعام فليعطك)، وكان أسامة خازن النبي ﷺ فذهب إليه، فقال أسامة: ما عندي شيء، فرجع إليهما فأخبرهما، فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل، ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئًا، فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة (بئر قديمة بالمدينة) لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء فرآهما النبي ﷺ فقال: (ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما) فقالا: يا نبي الله، والله ما أكلنا في يومنا هذا لحماً ولا غيره، فقال: (ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة) فنزلت الآية. ذكره الثعلبي[1]: أي لا تظنوا بأهل الخير سوءاً إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير[2].

وبعد أن بينت الآيات السابقة القيم الإيمانية الحقيقية في ميزان الله تعالى والتي يجب أن تسود بين أفراد المجتمع الإسلامي، عن طريق استجاشة شعور الأخوة الإيمانية، وتحذير المؤمنين من فقدان هذا الوصف الكريم، تضع هذه الآية الكريمة سياجاً آخر في المجتمع الفاضل الكريم حول حرمات الأشخاص وكرامتهم وحرياتهم، بينما هي تُعَلِّم الناس كيف يُنَقُّون مشاعرهم وضمائرهم بأسلوب مؤثر وعجيب[3] .

أما الظن ففي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ أمرٌ باجتناب كثير من الظن، بحيث لا يتركُ الناسُ لأنفسهم مجالاً للتأثر بكل ما يدور فيها من هواجسَ حول الآخرين من ظنونٍ وشبهاتٍ وشكوك، وهذا الأمر معلل بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ وما دام النبي منصب على أكثر الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إيحاء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيء أصلاً، لأنه لا يدري أي ظنونه تكون إثماً، بهذا يطهر القرآن الكريم الضمير من داخله، لئلا يتلوث بالظن السيء فيقع بالإثم، ويدعه نقياً بريئاً من الهواجس والشكوك، يُكنُّ لإخوانه المودة التي لا يخدشها ظن السوء، والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع، وما أروع الحياة في مجتمع خالٍ من الظنون، فهذا النص الكريم يقيم مبدأ التعامل الشريف سياجاً حول حقوق الناس، الذين يعيشون في مجتمعه النظيف، فلا يؤخذون بظنه، ولا يحاكمون بريبة، ولا يصبح الظن أساساً لمحاكمتهم، بل لا يصح أن يكون أساساً للتحقيق معهم ولا للتحقيق حولهم[4] والرسول ﷺ يقول: (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**)[5].

وذكر القرطبي: قال علماؤنا: الظن هنا التهمة، ومحل التحذير والنهي إنما هي تهمة لا سبب لها

---

(١) تفسير الثعلبي، (٨٢: ٩).

(٢) تفسير القرطبي، (٣٣٠: ١٦-٣٣١).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣٣٤٥: ٦).

(٤) تفسير القرطبي، (٣٣٠: ١٦).

(٥) صحيح الإمام البخاري، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، (٢٤: ٧)، حديث رقم (٥١٤٣)، وصحيح الإمام مسلم، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، (١٩٨٥: ٤)، حديث رقم (٢٥٦٣).

يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك، ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة، قوله تعالى: ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا**﴾ وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه[١]، وفي هذا المعنى قال الرسول ﷺ – لَمَّا نَظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ –: (**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنْكِ وَاحِدَةً وَحَرَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثًا: دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَأَنَ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ**)[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا**﴾ إن للناس حرياتهم وحرماتهم، وحرماتهم من كرامتهم التي لا يجوز أن تنتهك بأي صورة من الصور، ولا أن تمس بحال من الأحوال، ففي المجتمع الإسلامي الرفيع يعيش الناس آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرارهم، آمنين على عوراتهم، ولا يوجد مبرر مهما يكن لانتهاك حرمات الأنفس والبيوت والأسرار والعورات، فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم، وليس لأحد أن يأخذهم إلا بما ظهر منهم من مخالفات وجرائم[٣].

قال القرطبي: خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله[٤]. وفي هذا المعنى روى أبو داود عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم**)[٥]. وقال النبي ﷺ: (**إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم**[٦]، وقال ﷺ: (**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**[٧].

قوله تعالى: ﴿**وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ نهى ﷻ عن الغيبة وهي: أن تذكر الرجل بما فيه، فإن ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان[٨] وقد روي عن النبي ﷺ: (**أتدرون ما الغيبة؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: (**ذكرك أخاك بما يكره**) قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال: (**إن كان فيه ما تقول**

---

(١) تفسير القرطبي، (٣٣١: ١٦).

(٢) شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (٧٥: ٩)، حديث رقم (٦٢٨٠).

(٣) في ظلال القرآن، (٣٣٤٦: ٦).

(٤) تفسير القرطبي، (٣٣٣: ١٦).

(٥) السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (سنن أبي داود)، باب في النهي عن التجسس، (٢٥٠: ٧) حديث رقم (٤٨٨٨).

(٦) سنن أبي داود، (٢٥١: ٧) حديث رقم (٤٨٨٩).

(٧) سنن أبي داود، (٢٤١: ٧-٢٤٢) حديث رقم (٤٨٨٠).

(٨) تفسير القرطبي: (٣٣٤: ١٦)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لمحمد بن مُحَمَّد بن مصطفى العمادي أبي السعود، (تفسير أبي السعود)، (١٢٢: ٨).

فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)[1].

قال الحسن: «الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى: الغيبة والإفك والبهتان، فأما الغيبة فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك فأن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه»[2].

قوله تعالى: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**﴾ مثّل الله الغيبة بأكل الميتة، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحي لا يعلم بغيبته ممن اغتابه، وقال ابن عباس ﷺ : «إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس»، وقال قتادة: «كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حيًّا»[3] .

وفي قوله تعالى: (فكرهتموه) وجهان:

أحدهما: فكرهتم أكل الميت فكذلك فاكرهوا الغيبة.

الثاني: فكرهتم أن يغتابكم الناس فاكرهوا غيبة الناس[4].

قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ فاتقوا الله أيها الناس، فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظن أحدكم بأخيه المؤمن ظن السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما ستره من أمره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون به شينه وعيبه وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم ﴿**إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن لا يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه[5].

اشتمل هذا النص الكريم على جملة من الآداب والأخلاق الإسلامية التي لو رُوعيت في المجتمع الإسلامي لأصبحت الأمة قوية منها:

أ– أمرت الآية الكريمة باجتناب كثير من الظن حتى لا يقع المؤمن في القليل من المحرم، الذي يستوجب العقوبة ﴿**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾، وإنما حرم قليل الظن لأنه مبني على الكذب والنفاق والإساءة إلى المؤمنين، وقد أمرت الشريعة بحسن الظن بالمسلمين، قال الرسول ﷺ: (**حسن الظن من حسن العبادة**)[6]. روى عبد الله بن عمر ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: (**ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس مُحَمَّد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند**

---

(١) صحيح مسلم، باب تحريم الغيبة، (٤٧٦: ١٢) حديث رقم (٤٦٩٠).

(٢) تفسير القرطبي، (٣٣٥: ١٦).

(٣) تفسير القرطبي: (٣٣٥: ١٦).

(٤) تفسير القرطبي، (٣٤٠: ١٦).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد أبي جعفر الطبري، (تفسير الطبري)، (٣٠٩: ٢٢).

(٦) سنن أبي داود، (٣٤٥: ٧)، حديث رقم (٤٩٩٤).

الله حرمة منك، ماله ودمه وعرضه، وأن نظن به إلا خيراً)[1].

ب- بعد أن حرمت الآية سوء الظن والظن السيء بالأمر باجتنابه والتباعد عنه، وهجره وتركه، نهت الآية نفسها عن جريمة نكراء؛ وهي التجسس، والنهي هنا يفيد التحريم، فالإسلام حرم التجسس بين المؤمنين؛ لأنه يريد أن يحافظ على الأخوة والمودة التي أنشأها ورعاها، فالتجسس إذا فشا في الأمة فإنه يبذر بذور الفتنة على كل صعيد، ويزرع الشك في نفوس الناس، ومن ثم تفقد الثقة بين الناس، ويدب التنازع والتخاصم والتشاحن، وتضعف رابطة الأخوة والمودة، وتصبح لقمة سائغة لأعدائها في الداخل والخارج، ولقد نهى الإسلام عن كل ذلك، قال ﷺ: **(لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً)**[2].

ج- نهت الآية الكريمة عن الغيبة وحرمتها، قال الرسول ﷺ: **(إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق)**[3].

وعن أبي بَكَرة ﷺ قال: بينما أنا أماشي رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي، ورجل عن يساري، فإذا نحن بقبرين أمامنا، فقال رسول الله ﷺ: مر النبي ﷺ، بقبرين. فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فيعذب في البول، وأما الآخر فيعذب في الغيبة»[4].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظافر من نحاس، يخمشون وجوههم وصدروهم، فقلت: ومن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس، ويقعون في أعراضهم)**[5].

عن أبي هريرة ﷺ أن ماعزاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني زنيت، فأعرض عنه حتى قالها أربعاً، فلما كانت الخامسة قال ﷺ: **(زنيت؟)** قال: نعم، قال: **(وتدري ما الزنا؟)** قال: نعم، أتيتُ منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً، قال ﷺ: **(ما تريد إلى هذا القول؟)** قال: أريد أن تطهرني، قال: فقال رسول الله ﷺ: **(أدْخلتَ ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشا في البئر؟)** قال: نعم يا رسول الله، قال: فأمر برجمه، فرُجم، فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تردعه نفسه حتى رُجِم رَجْم الكلب؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مر

---

(١) السنن، مُحَمَّد بن يزيد بن ماجة أبو عبدالله القزويني (سنن ابن ماجة)، باب حرمة دم المؤمن وماله، (٨٥: ٥)، حديث رقم (٣٩٣٢).

(٢) صحيح الإمام مسلم، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، (١٩٨٢: ٤) حديث رقم (٢٥٥٨).

(٣) سنن أبي داود، باب في الغِيبَةِ، (٢٣٩: ٧) حديث رقم (٤٨٧٧).

(٤) سنن ابن ماجة، باب التشديد في البول، (١٢٥: ١)، حديث رقم (٣٤٩).

(٥) المسند ، للإمام أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيباني، (مسند الإمام أحمد)، مذيل بأحكام شعيب الأرناؤوط، (٢٢٤: ٣)، حديث رقم (١٣٣٦٤)، سنن أبي داود، باب في الغيبة، (٢٤٠: ٧)، حديث رقم (٤٨٧٨).

بجيفة حمار، فقال: (**أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار**)، قالا: غفر الله لك يا رسول الله، وهل يؤكل هذا ؟! قال ﷺ: (**فما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها**)[١].

د– قال القرطبي: إن الغيبة من الكبائر وأن من اغتاب أحداً عليه أن يتوب إلى الله عز وجل[٢] .

هـ– الأعذار المرخصة في الغيبة:

أجاز العلماء الغيبة في مواضع منها:

الأول: التظلم: مثل قول المظلوم للقاضي: – يستعين به على أخذ حقه ممن ظلمه– فلان ظلمني، أو غصبني، أو خانني، أو ضربني، أو قذفني، أو أساء إليّ بغيبة، وعلماء الأمة على ذلك مجمعون، وحجتهم قول النبي ﷺ: (**أن رجلا أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له فهم به أصحابه فقال دعوه فإن لصاحب الحق مقالا**)[٣]، وقوله: (**مطل الغني ظلم**)[٤]، [٥].

الثاني: الاستفتاء: كقول هند للرسول ﷺ: «إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي فهل علي جناح أن آخذ من ماله سرا؟» فقال النبي ﷺ: (**خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف**)[٦]، فذكرته بالشح والظلم لها ولولدها، ولم يرها مغتابة، لأنه لم يغير عليها، بل أجابها ﷺ بالفتيا لها[٧].

الثالث: الاستعانة على تغيير المنكر: كأن يقول الرجل للإمام أو صاحب الشأن أو لمن يستطيع تغيير المنكر: فلان يفعل المنكر، ويشرب الخمر، وما شابه ذلك، فازجره، لقوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾[٨].

---

(١) السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، (سنن النسائي الكبرى)، باب ذكر استقصاء الإمام على المعترف عنده، (٢٧٧: ٤)، حديث رقم (٧١٦٥)، الصحيح، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم البستي، (صحيح ابن حبان)، كتاب الحدود، (٢٤٤: ١٠) حديث رقم (٤٣٩٩).

(٢) تفسير القرطبي، (٣٣٧: ١٦).

(٣) صحيح الإمام البخاري، باب مطل الغني ظلم، (٢٤٠١)، حديث رقم (١٥٥: ٣).

(٤) صحيح الإمام البخاري، باب مطل الغني ظلم، (٢٤٠٠)، حديث رقم (١٥٥: ٣).

(٥) تفسير القرطبي، (٣٣٩: ١٦).

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، (١٠٣: ٣)، حديث رقم (٢٢١١).

(٧) تفسير القرطبي، (٢٢٩: ١٦).

(٨) سورة النساء، الآية رقم (١٤٨). وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، (تفسير الآلوسي)، (١٧٧: ٣)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، (التفسير المنير)، (٢٦٤: ٢٦).

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم: وخاصة في الأمور التي تهم الناس كالاستشارة في الزواج، وإيداع الأمانة، فله أن يذكر ما يعرفه على قصد النصيحة للمستشير لا على قصد الوقيعة، فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك، فهو الواجب وفيه الكفاية، وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به، قال الرسول ﷺ: **(أترعون عن ذكر الفاجر، اهتكوه حتى يعرفه الناس، اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس)**[1]، وكانوا يقولون: ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه[2]، وكذلك يجوز جرح المجروحين من الرواة بعد التحقق، وما قاله علماء الجرح والتعديل عنهم[3].

الخامس: المجاهر بالفسق: كالمخنث وصاحب الماخور، والمجاهر بشرب الخمر، وكان ممن يتظاهر به، بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به، فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به، فلا إثم عليك، قال رسول الله ﷺ: **(من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له)**[4].

السادس: أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرب عن عيبه: كالأعرج، والأعمش، فلا إثم على من يذكره به، فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف، وذلك لأن هذا الأمر قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهوراً به، أما إن ذكر ذلك على سبيل الانتقاص من شخصه فلا يجوز ذكر ذلك[5].

بواعث الغيبة[6]:

لو تأملنا بواعث الغيبة عند المغتابين لوجدناها تدل على أمراض عندهم ومن هذه البواعث:

١- **إشفاء الغيظ عند المغتاب:** فإن الرجل إذا غضب من آخر دفعته نفسه إلى الانتقام منه، وذلك بذكر مساوئه .

٢- **موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام:** فقد يغضب هذا الرجل لغضبهم

---

(١) المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد أبي القاسم الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، (٤١٨: ١٩)، حديث رقم (١٠١٠).

(٢) ذم الكلام وأهله، لعبدالله بن مُحَمَّد بن علي أبي إسماعيل الهروي (ت٤٨١هـ)، (٢١٧: ١) برقم (٦٨٧).

(٣) ينظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لعبدالرحيم بن الحسين زين الدين العراقي، (ت٨٠٦هـ)، (٤٤٠: ١).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، (٢١٠: ١٠)، حديث رقم (٢١٤٤٣)، وينظر: تفسير القرطبي (٣٣٩: ١٦).

(٥) تفسير القرطبي (٣٤٠: ١٦).

(٦) انظر البواعث مفصلة في كتاب: إحياء علوم الدين: لمحمد بن مُحَمَّد أبي حامد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، (١٤٦: ٣).

ويغتاب من يغتابونه فيقع في الغيبة، أو قد يرى أقرانه يقعون في غيبة شخص فلا ينكر عليهم، ويشاركهم في الغيبة حفاظاً على أمراء السوء .

٣- **إرادة التصنع والمباهاة والعجب بالنفس:** فقد يصيب الغرور المغتاب ويتصور أنه عالم وأعلم من غيره، فيدفعه ذلك أن يصف غيره بالجهل .

٤- **الحسد:** فقد يسمع أناساً يكثرون من الثناء على رجل بالعلم أو الكرم أو حسن الخلق فيغتاظ من ثنائهم عليه، ويحرص على أن يزيل ما في أذهانهم من تزكية له، فيدفعه الحسد إلى الكلام ليثبت نقيض ما عُرف عنه .

٥- **إشغال وقت الفراغ بالهزل والضحك:** فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة .

لفتات بيانية:

١- التنكير في قوله تعالى ﴿**كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ**﴾ والسر فيه إفادة معنى البعضية للإذن بأن ما في الظنون ما يجب أن يُجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين، لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد تأمل وبعد نظر وتمحيص، واستشعار للتقوى والحذر من أن يكون الظن طائش السهم بعيداً عن الإصابة، وما أكثر الذين تسول لهم ظنونهم ما ليس واقعاً، ولا يستند إلى شيء من اليقين[١].

٢- الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوه**﴾ فقد شبه من يغتاب غيره بمن يأكل لحم أخيه ميتاً، وفيها من المبالغات ما يلي:

أ- الاستفهام الذي معناه التقرير، كأنه أمر مفروغ منه مبتوت فيه.

ب- جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة.

ج- إسناد الفعل إلى كل أحد للإشعار بأن أحداً لا يحب ذلك لنفسه ولا لغيره.

د- أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وهو أكره اللحوم وأبعثها على التقزز، بل جعله أخاً له .

هـ- أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتًا[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿**فَكَرِهْتُمُوه**﴾ معناه فقد كرهتموه، واستقر ذلك، وفيه معنى الشرط، أي إن صح هذا فكرهتموه[٣].

٤- الترتيب **(علاقة الغيبة بالتجسس وسوء الظن)** إن مما يلفت النظر أن الآية الكريمة التي نعيش في ظلالها نهت عن سوء الظن والتجسس والغيبة، فبدأت بتحريم سوء الظن، وانتهت بتحريم الغيبة،

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار الإرشاد، سورية، (٢٧٤: ٩-٢٧٥).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، (٢٧٤: ٩-٢٧٥).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لمحمود بن عمرو بن أحمد أبي القاسم الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، (٣٧٣: ٤).

وتوسطت بتحريم التجسس، فهل هناك علاقة بين الأمور الثلاثة؟

إن المتأمل لأحوال الناس الذين يقعون في هذه الآفات المهلكات، يجد أن ترابطاً بين الظن والتجسس والغيبة، بل إن كل أمر يسلم إلى الذي يليه في الغالب، فإذا ظن أحد بالآخر ظناً سيئاً، أخذ يبحث عنه ويريد أن يتحقق منه، وهذا هو التجسس الذي نهت عنه الآية، وهو البحث عن عيوب الناس، فإذا تحقق ظنه السيء بعد بحثه السيء بوجود العيب الذي كان يبحث عنه، أخذ يذكره للناس وهذه هي الغيبة، فسوء الظن يؤدي إلى التجسس الذي يؤدي إلى الغيبة[١].

السماع المحمود:

ينقسم السماع المحمود في الدنيا إلى عدة أنواع، منها:

النوع الأول: سماع صوت الطير: فقد يسر الله ﷻ لبني البشر وسائل تشعرهم بالراحة والأمان، ومن هذه الوسائل أن سخر لهم أصوات الطير، وتلك الأصوات تظهر إبداع الخالق في صنعة، فيبرز ذلك الإبداع والجمال حينما يتنفس الصباح منذ وهلته الأولى، والطيور تنشد تسبيحاً يليق بجلال الله، وعظيم سلطانه، حين تطرب الآذان فرحاً بنعم الله عليها، وقد ثبت ذلك التسبيح في خمس آيات من كتابه العزيز منها قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾[٢].

إذن فسماع أصوات الطيور يجعلنا على علاقه دائمة لا انقطاع لها بالله تعالى، فأصوات تسبيحها يجب أن نتخذه كالمنبه لنا إن غفلنا عن ذكر الله وتسبيحه، لأن الطير تسبح الله بلا كلل أو ملل، ومن هنا يجب أن نجعل ألسنتنا وقلوبنا عامرة بذكر الله ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٣].

النوع الثاني: سماع ذكر الله ﷻ: إن من أجل ما يمكن للمؤمن أن يسمعه سماع ذكر الله ﷻ بكل صوره، سواء أكان بالتسبيح أو التكبير أو التهليل أو التحميد، وغيرها من صور الذكر كالأذان، فهو يدخل ضمن صور الذكر لأنه من مبتدئه حتى منتهاه ذكر لله وحده لا شريك له، والذى يدل على ذلك تفسير المفسرين الذكر في قوله تعالى: ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾[٤] بالآذان[١]، فعلى المؤمن حينما يسمع

---

(١) في ظلال سورة الأخلاق، (نظرات في سورة الحجرات)، لمحمد عبدالقادر أبي فارس، (ص: ١٢٤).

(٢) سورة النور: الآية رقم (٤١).

(٣) سورة الرعد: الآية رقم (٢٨).

(٤) سورة النور: الآية رقم (٣٧).

الآذان أن ينصت له، وأن يقول مثلما يقول المؤذن، كما روى ذلك أبو سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن)**[٢].

النوع الثالث: سماع للقرآن الكريم: وهو من أعظم ما يمكن سماعه في الدنيا، وثبت ذلك في عدة آيات من كتاب الله عز وجل بلغت اثنتي عشرة آية[٣] منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[٤].

وسماع القرآن الكريم هو السماع الشرعي الذي يحبه الله ويرضاه[٥]، وأمر به رسوله الكريم ﷺ، وأمرنا تأسياً به ﷺ وبأصحابه ﴿رضي الله عنهم﴾ أن نتبعهم ونسير على نهجهم في ذلك، فقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم، ومما مدحهم به في كتابه، قوله تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾[٦][٧].

والاستماع للقرآن الكريم هو أساس الإيمان الذي يقوم عليه بناؤه[٨]، ويثاب عليه المرء أتم ثواب ما دام القصد منه نيل رضوان الله عز وجل[٩].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: لعبدالرحمن بن مُحَمَّد ابن أبي حاتم الرازي، (٢٦٠٨: ٨)؛ بحر العلوم، لنصر بن مُحَمَّد بن أحمد أبي الليث السمرقندي (ت٣٧٣هـ) (تفسير السمرقندي)، (٥١٥: ٢)؛ النكت والعيون: لعلي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبي الحسن بالماوردي (ت٤٥٠هـ) (تفسير الماوردي)، (١٠٧: ٤).

(٢) صحيح البخاري، باب ما يقول إذا سمع المنادي، (١٥٩: ١)، حديث رقم (٦١١)؛ وصحيح مسلم، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، (٢٨٨: ١) حديث رقم (٣٨٣) و (٣٨٤).

(٣) سورة المائدة: الآية رقم (٨٣)، سورة الأعراف: الآية رقم (٢٠٤)؛ سورة الأنفال الآية رقم (٢) والآية رقم (٣١)؛ سورة التوبة: الآية رقم (٦)؛ سورة الإسراء الآية رقم (١٠٧) والآية رقم (١٠٩)؛ سورة مريم: الآية رقم (٥٨)؛ سورة الحج: الآية رقم (٣٥)؛ سورة السجدة: الآية رقم (١٥)؛ سورة الزمر: الآية رقم (٢٣)؛ سورة القلم: الآية رقم (٥١).

(٤) سورة الأنفال: الآية رقم (٢).

(٥) مجموع الفتاوى؛ لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، (٦٤: ٢٠).

(٦) سورة مريم: الآية رقم (٥٨).

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٦٢٦: ١١)؛ مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية: لمحمد بن على بن أحمد أبو عبدالله البعلي، (ت٧٧٨هـ)، (ص: ٥٩١).

(٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، (٤٨٠: ١).

(٩) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، (٢٣٤: ١).

وكلام الله عز وجل يثير الدهشة في القلوب، وهذا لا يجده إلا من يتلقاه بحس واع وقلب مفتوح، فسماع القرآن الكريم يهز أوتار القلب[١].

السماع المذموم (غير المحمود):

يحتوى السماع المذموم على أربعة أنواع منها:

سماع أهل الباطل، والباطل في اللغة من مادة (ب ط ل) هو نقيض الحق[٢]، والباطل في الاصطلاح هو الفاسد، والساقط ضد الصحيح، وضد الحق، وهو ما لا ثبات له من المقال، والفعال عند الفحص عنه[٣].

ويعد سماع أهل الباطل أحد أنواع السماع المذموم، والذى ذكره الله ﷻ مرتين[٤] في كتابه العزيز منها قوله تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾[٥]، وقد نزلت الآية في مشركي مكة إذ كانوا يخوضون في الكفر وذم الإسلام والاستهزاء بالقرآن، وكان بعض المسلمين يجلسون معهم في هذه الحال، ولا يستطيعون الإنكار عليهم لضعفهم وقوة المشركين، فأمروا بالإعراض عنهم، وعدم الجلوس إليهم في هذه الحال[٦].

أيضا من أنواع السماع المذموم الاستماع إلى الغيبة والنميمة وهو يقود إلى تفتيت المجتمعات، لما يتركانه من آثار سلبية، وعواقب وخيمة على المجتمعات، ومما يدل على تحريم ذلك ما ورد في كتاب الله ﷻ: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾[٧]، وقوله: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾[٨].

---

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب (٣٧٢٧: ٦).

(٢) لسان العرب: لابن منظور، مادة (ب ط ل)، (٥٦: ١١)؛ تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، (٨٩: ٢٨).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت١٠٣١هـ)، (٦٩: ١).

(٤) سورة النساء: الآية رقم (١٤٠)؛ وسورة الأنعام: الآية رقم (٦٨).

(٥) سورة النساء: الآية رقم (١٤٠).

(٦) تفسير القرآن الحكيم؛ مُحَمَّد رشيد بن علي رضا بن مُحَمَّد القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، (٣٧٧: ٥).

(٧) سورة المؤمنون: الآية رقم (٣).

(٨) سورة القصص: الآية رقم (٥٥).

واللغو في هذه الآيات هو سقوط القول وهذا يعم جميع ما لا خير فيه[1]، فيجب أن يلغى ويترك[2]، وهو البذيء من القول سواء وجه إلى مخاطب أم حكي عن غائب[3].

النوع الآخر من السماع المذموم هو سماع الغناء المحرم، وذلك لأنه يقوي الأحوال الشيطانية[4]، وهذا ما يكرهه الله ﷻ ويبغضه، ومَدَح المعرضين عنه، أما المقبلون على الغناء فقد عوده لذة، والصحيح أنها وإن كانت في نظرهم لذة إلا أنها تمنع لذة الآخرة، ثم إنه يعقبها ألم أعظم، فلذتها متمثلة في سماع كل ما يضر العبد في قلبه ودينه ودنياه، كسماع اللغو الذى مدح الله ﷻ تاركيه فقال: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾[5].[6].

النتائج

جاءت كلمة السمع في القرآن الكريم تحمل عدة معان هي: الإفهام، وإجابة الدعاء، وفهم القلب، وسماع جارحة الأذن، وهناك ألفاظ ذات صلة بالسمع منها: الإصغاء والانتظار، والطاعة، والإيمان.

ولسماع الإنسان فوائد منها: أنه أهم وسيلة من وسائل التعلم، والسماع يثمر الطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ، ومهمة السماع تنبيه القلب على معاني المسموع، وتحريكه عنها طلباً وهرباً، كما أن السماع محرك يثير ساكن العزمات إلى أعلى المقامات وأرفع الدرجات، وهو مناد ينادى للإيمان، ودليل يسير بالركب في طريق الجنان.

كما أن السمع منه المحمود، والسماع المذموم، فالسمع المحمود منه سماع الطير، وسماع ذكر الله، وسماع القرآن الكريم، كما أن لهذه عدة آثار سواء على المؤمنين أو غيرهم.

السماع المذموم في الدنيا عدة أنواع منها: سماع أهل الباطل، وسماع الغيبة، وسماع النميمة، وسماع الغناء، ولهذه الأنواع عدة آثار، وعقوبات كما بينتها أدلة الكتاب، وأيدتها السنة النبوية.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، (١٣٦: ٤).

(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)؛ لمحمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، (٢٦: ٢٣).

(٣) في ظلال القرآن؛ سيد قطب، (٢٧٠١: ٥).

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية: أبو العباس الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، (ص: ١٨٣).

(٥) سورة الفرقان: الآية رقم (٧٢).

(٦) الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، (٢٤٣: ١).

قائمة المصادر والمراجع مرتبة على حروف المعجم

(١) إحياء علوم الدين: لمحمد بن مُحَمَّد أبي حامد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لمحمد بن مُحَمَّد بن مصطفى العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٣) إعراب القرآن وبيانه: لمحيي الدين الدرويش، دار الإرشاد، سورية.

(٤) أعلام النبوة: لعلي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبي الحسن الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٥) آكام المرجان في أحكام الجان: لمحمد بن عبدالله الشبلي أبي عبدالله الدمشقي، (ت٧٦٩هـ)، تحقيق ابراهيم مُحَمَّد الجمل، مكتبة القرآن، مصر، القاهرة، ٢٠١٠،

(٦) بحر العلوم: لنصر بن مُحَمَّد بن أحمد أبي الليث السمرقندي (ت٣٧٣هـ).

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين.

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد بن جزي أبي القاسم الكلبي، تحقيق: مُحَمَّد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

(٩) التعريفات: لعلي بن مُحَمَّد الجرجاني: (ت: ١٤٥هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.

(١٠) تفسير القرآن الحكيم: مُحَمَّد رشيد بن علي رضا بن مُحَمَّد القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(١١) تفسير القرآن العظيم: لعبدالرحمن بن مُحَمَّد ابن أبي حاتم الرازي، (٢٦٠٨: ٨).

(١٢) تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء الدمشقي (٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ=١٩٩٩م).

(١٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ

(١٤) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: لعبدالرحيم بن الحسين زين الدين العراقي، ت٨٠٦هـ، تحقيق: عبدالرحمن مُحَمَّد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م.

(١٥) التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠.

(١٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

(١٧) الجامع الصحيح المسند: لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

(١٨) الجامع الصحيح سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٩) الجامع الصحيح: لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢٠) الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي، لمحمد بن أحمد الأنصاري شمس الدين أبوعبدالله القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة.

(٢١) الحكم الشرعي المستنبط من لفظ السمع في القرآن الكريم: لعبدالعظيم رمضان عبدالصادق، دراسة أصولية فقهيه، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، العدد السادس، فبراير ٢٠١٣، السودان.

(٢٢) ذم الكلام وأهله: لعبدالله بن مُحَمَّد بن علي أبي إسماعيل الهروي (ت٤٨١هـ)، تحقيق: عبدالرحمن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.

(٢٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، تحقيق: على عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ

(٢٤) السنن الكبرى: لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ= ١٩٩١م.

(٢٥) السنن: لسليمان بن الأشعث أبي داود السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: شعَيب الأرناؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

(٢٦) السنن: لمحمد بن يزيد بن ماجة أبو عبدالله القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

(٢٧) السيرة النبوية، لعبدالملك بن هشام بن أيوب أبي مُحَمَّد الحميري المعافري، (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ= ١٩٥٥م.

(٢٨) شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م.

(٢٩) الصحيح، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.

(٣٠) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

(٣١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية: أبو العباس الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

(٣٢) الفروق اللغوية: للحسن بن عبدالله أبي هلال العسكري، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر.

(٣٣) في ظلال القرآن: لسيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.

(٣٤) في ظلال سورة الأخلاق: (نظرات في سورة الحجرات)، لمحمد عبدالقادر أبي فارس، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

(٣٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لمحمود بن عمرو بن أحمد أبي القاسم الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(٣٦) لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلي بن مُحَمَّد بن إبراهيم علاء الدين أبي الحسن الشيحي المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح: مُحَمَّد علي شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

(٣٧) لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت.

(٣٨) مجموع الفتاوى؛ لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

(٣٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٤٠) مختصر الفتاوى المصرية: لمحمد بن على بن أحمد أبو عبدالله البعلي، (ت٧٧٨هـ)، تحقيق: عبدالمجيد سليم وآخرين، مطبعة السنه المحمدية؛ دار الكتب العلمية.

(٤١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لعبدالله بن أحمد بن محمود أبي البركات النسفي، (ت: ٧١٠هـ)، راجعه وخرج أحاديثه: يوسف على بديوى، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

(٤٢) المسند: لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي (ت٢٩٢هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

(٤٣) المسند: لأحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني، مذيل بأحكام شعيب الأرناؤوط، مؤسسة قرطبة.

(٤٤) المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد أبي القاسم الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية. شاملة لطبعة دار الصميعي، الرياض، الطبعة لأولى، ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م.

(٤٥) المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة.

(٤٦) مفاتيح الغيب: (التفسير الكبير)، لمحمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ

(٤٧) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لأبي الفرج جمال الدين ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

(٤٨) النكت والعيون: لعلي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبي الحسن بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٠٧: ٤).

المحتويات

المستخلص ٢
Abstract ٢
مقدمة ٣
المبحث الأول: منة الله سبحانه وتعالى على الخلق بنعمة السمع: ٦
المبحث الثاني: هداية القرآن في عدم النطق بما لا يعلمه الانسان: ١١
بواعث الغيبة: ١٨
لفتات بيانية: ١٩
النتائج ٢٣
قائمة المصادر والمراجع مرتبة على حروف المعجم ٢٤